من
التراث الكنسي

الإفخارستيا أساسية لتكوين الكنيسة كجسد للمسيح

❖✚❖

الأب نيقولاس آفاناسييف **Fr. Nicolas Afanasiev** العالِم الشَّهير في التعليم عن الكنيسة على أساس إفخارستي يعتبر الإفخارستيَّا أساسيَّة لتكوين جسد المسيح، فيقول:

"الكنيسة تأسَّست بواسطة المسيح في العشاء الأخير، واستُعلن وجودها في يوم البنديكُسْتي، عندما مارس التَّلاميذ أوَّل إفخارستيَّا ... في يوم حلول الرُّوح القُدُس، كان التَّلاميذ مُمتلئين من الرُّوح القُدُس ... صار التَّلاميذ "جسدًا واحدًا" في الإفخارستيَّا، التي أُقيمت في الرُّوح ومن خلال الرُّوح ... الإفخارستيَّا هي المركز الذي نحوه يتَّجه كل شيءٍ، والذي يلتقي فيه كل شيءٍ ويتَّحد معًا. جسد المسيح يُدرَك ويُحقَّق فقط في الإفخارستيَّا[1]".

وبحسب كلمات الأب باتريك ريردون Fr. Patrick Reardon:

"الغرض النَّهائي والحاسم لاستدعاء الرُّوح القُدُس، ليس تقديس الخبز والخمر (فقط)، ولكن تقديس البَشَر. المسيح القائم لم يتَّخذ شكل الخبز والخمر المكرَّسين ليختبئا في مائدة، ولكن لأجل أنْ يُؤكَلا ويُشرَبا، ليقيم فينا ونحن فيه (يو٦: ٥٦)[2]".

الغرض من استدعاء الرُّوح القدس في القدَّاس الإلهي ليس فقط تقديس الخبز والخمر، ولكن تقديس كلِّ المُشتركين، ليحوِّلنا، ويجعلنا أعضاءً حقيقيِّين لجسد المسيح. فلأنَّ الدَّم الحقيقي ليسوع يجري ويتدفَّق في عروقنا من خلال الإفخارستيَّا، يصير كلُّ عضو في جسدنا عضوًا لجسد المسيح. حقيقة، ليس لجسد المسيح السرِّي أيدٍ أو أقدام، ولكن له أيدينا

(1) *The Lord's Supper*، "*Trapeza Gospodnia*" (Paris: YMCA Press،1952), in Russian، trans. Michael J. Lewis (Crestwood،NY: St. Vladimir's Orthodox Theological Seminary، 1988)،1-2.

(2) *Again Magazine.* Vol 24، No 3.

وأقدامنا نحن ليُجرِي عمله في عالَم اليوم.

وهكذا، نحن مدعوُّون لنحيا أعضاءً لجسد حي، رأسه الرَّب يسوع. هذا الجسد يدعوه القدِّيس أغسطينوس: **[المسيح ككل، رأسًا وجسدًا معًا]**.

السِّر الآخَر الذي يجعلنا أعضاء جسد المسيح هو المعموديَّة، التي فيها نُطعَّم في جسد المسيح، لنصير أعضاء جسده. كلُّ مسيحي معمَّد هو صورة للمسيح. نحن نصير مُسَحَاء أُخَر في العالَم. نصير عينيه، ويديه، ولسانه، وقدميه. المسيح اختار أنْ يعمل في العالَم من خلالنا، نحن أعضاء جسده. إنَّها مسؤوليَّتنا الخاصَّة كمعمَّدين مسيحيِّين أنْ نَدَع المسيح حاضرًا أينما كنَّا في العالَم.

سرُّ الإفخارستيَّا يُطلَق عليه أيضًا سرُّ الشَّركة Koinonia، وهو حقًّا هكذا، لأنَّ من خلاله نكون في شركة مع المسيح، وأيضًا في شركة بعضنا ببعض، بل وأيضًا في وحدة، لأنَّنا أعضاء من جسد واحد.

استيعاب كلمة الله وأكلها

عندما دعا الله أنبياءه اليهود العظام، طلب منهم أنْ يأكلوا دَرْجَ الشَّريعة، أي كُتُبهم المقدَّسة. الفكرة كانت أنَّهم يأكلون كلمة الله، ويحوِّلونها إلى كيانهم الخاص، حتَّى يمكن للنَّاس أنْ يروا كلمة الله في جسد حي بدلًا من رق ميِّت. هكذا هو الأمر من خلال الإفخارستيَّا وكلمة الله المكتوبة: أننا فيهما نأكل ونستوعب الرب يسوع حتَّى يصير جسدًا في أجسادنا، ومن ثمَّ، لن يرى الناس مَنْ هو الله في الكتاب المقدَّس فقط ولكن سيمكنهم أن يروا الله فينا. قال الرَّب يسوع: «**أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ ...** أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ» (مت ٥: ١٣، ١٤).

بما أننا قد استخدمنا المثال الذي أعطاه بولس الرسول عن الجسد كمثال للشَّركة التي نختبرها كأعضاء للمسيح ولبعضنا البعض، أُقدِّم لكم الكلمات التالية للاهوتي الإنجليزي روبنسون J. Robinson، حيث يلخِّص عمق المعنى الرُّوحي المتأصِّل في كلمات الكتاب المقدَّس عن الجسد، فيقول:

"إنَّه من جسد الخطيَّة والموت أُنقذنا، ومن خلال جسد المسيح على الصَّليب خلصنا، وفي جسده اندمجنا، وبجسده في الإفخارستيَّا يحدث أنَّ هذه

الجماعة (جسد المسيح) تتدعَّم وتلتئم. في جسدنا استُعلِنَت الحياة الجديدة؛ ونحن معيَّنون لقيامة هذا الجسد إلى شبه جسد مجد المسيح".

لمس وتذوُّق الحياة الجديدة

ليس فقط الرُّوح هي التي تخلص وتتمجَّد، بل الروح مع الجسد أيضًا. المسيحية دين واقعي يأخذ الجسد بعين الاعتبار. إنَّ ما يحدث لنا في الكنيسة يحدث لنا من خلال أجسادنا. نحن نغتسل من خطايانا جسديًّا من خلال ماء المعموديَّة. نحن نُدفن جسديًّا في مياه المعموديَّة ونقوم مع المسيح إلى حياة جديدة، ولكن مشكلتنا هي أنَّنا لا نعيش دائمًا كمن قد اغتسلوا لمعموديَّة الحياة، حيث إنَّ رحلتنا في الحياة بدءًا من المعموديَّة تتشوَّه بالخطيَّة. نحن نحتاج إلى قوت وإلى قوَّة أثناء الرِّحلة. نحن نحتاج إلى غفران، وهذا ما يجعلنا نأتي بأجسادنا إلى مائدة المسيح. نحن نسمع وعد يسوع: **"هذا هو جسدي الذي يُبذل لأجلكم، وهذا هو دمي المسفوك لأجلكم"**. نحن نأكل الجسد ونشرب الدم. خلال سر التناول تتقدَّس أجسادنا وتتغذَّى بحياة القيامة. نحن نلمس ونذوق الحياة الجديدة. رجاء القيامة يجري في أجسادنا، ونترك المائدة وقد انتَشَينا. أجسادنا قد اغتذت بالقيامة، وارتباطنا بجسد المسيح يتجدَّد ويُعاد ويتوثَّق.

نحن نصير أعضاء المسيح

يصف الأب سمعان اللاهوتي الجديد ما يحدث لجسدنا عندما نتغذَّى بالمسيح من خلال سرِّ الإفخارستيَّا والكلمة فيقول:

> **"نحن نصير أعضاء المسيح وأطرافه، والمسيح يُصبِح أعضاءنا ... وأنا غير مُستحق، أن تصير يَدَايَ وقدمايَ تصيران للمسيح. أُحرِّك يدي، ويدي بكليَّتها تكون للمسيح لأنَّ المسيح قد اتَّحد بي بدون انفصال. أنا أُحرِّك قدميَّ، ويا للعجب! إنَّها تتوهَّج وكأنها قدم الله تمامًا ... ".**

كأعضاء لجسد المسيح، ونحن متَّحدون به، نصير: **«شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ»** (٢بط ١: ٤). وحيث إنَّ يسوع، رأس جسدنا، يجلس الآن عن يمين عرش الله، فنحن كأعضاء لنفس الجسد سنَجلس هناك معه، لأنَّه في أيِّ كائن حي، لا يمكن أنْ ينفصل الرَّأس عن

الجسد! أَمَا صعد السيِّد المسيح – رأسنا – بجسده إلى يمين الآب حيث ينتظرنا؟ إلى هناك نحن ننتمي، هناك مُشتهانا!

دروس من الأوِزّ الطَّائر

نجد معنًى جميلًا للشَّركة koinonia في عالَم الحيوان بين الأوِزّ، فهو يعكس لنا ماذا يجب أن يحدث بين أعضاء جسد المسيح.

يحدث أنْ ترى الأوز متَّجها نحو الجنوب بسبب الشِّتاء، طائرًا في شكل حرف **V**، وستندهش عندما تعرف ما اكتشفه العِلْم في طريقة طيرانه بهذا الشَّكل. عندما يُرَفرف الطَّائر بجناحيه، فهو يوجِد قوَّة رافعة للطائر الذي يتبعه مباشرة. بالطَّيران في شكل حرف **V**، فالسِّرب كلّه يضيف على الأقل قوَّة طيران إضافيَّة بمقدار ٧١% عمَّا لو كان كلّ طائر يطير بمفرده؛ وهذا هو نفس الوضع للمسيحيِّين الذين يتشاركون بالسعي في اتِّجاه مُشتَرَك بمعنى الشَّركة koinonia، حيث يُمكن للجماعة أنْ تبْلغ إلى حيثما تريد، أسرع وأسهل مما لو سعى كل واحد على انفراد، لأنَّهم يعتمدون على القوَّة الدَّافعة والرَّافعة لكلِّ واحدٍ التي صارت مشتركة للجميع.

إذا ما حدث أنَّ طائرًا يخيب عن هذا التَّشكيل، فهو يشعر بالفشل والتخلُّف نتيجة محاولته أنْ يمضي بمفرده، فلا يلبث أنْ يعود بسرعة للانضمام إلى التَّشكيل، ليَنْتفع من فائدة القوَّة الرَّافعة للطَّائر الذي يسبقه مباشرة. إذا ما كان لنا نحن المسيحيِّين مثل هذا الإحساس الذي للأوز، فسنبقى وسنظل في نفس التَّشكيل مع المتقدِّمين للأمام في نفس الاتِّجاه. عندما تشعُر الأوزة القائدة بالتَّعب، فإنَّها تدور إلى الخلف، وطائر آخَر يحلُّ مكانها. وهكذا معنا نحن أيضًا أثناء عمل الأشياء الصَّعبة في الكنيسة، حيث يمكن الاستفادة من النَّاس الآخَرين مثلما يفعل الأوز عندما يدور. دعنا نتذكَّر أيضًا أنَّ الأوز تُصدر صوتًا باستمرار من الخلف لتشجِّع الذين في المقدِّمة لتحتفظ بسرعتها. إنَّها تشجِّع أولئك الذين في الطَّليعة للعمل الجيِّد الذي يقومون به.

وأخيرًا، عندما تمرض واحدة من الأوز أو تُجرَح من طلقة صيَّاد وتسقط، فإنَّ طائرَين يتراجعان من التَّشْكيل ويتخلَّفان عنه، ويتبعان الطَّائر المُصاب ليساعداه ويحمياه، ويظلَّان معه حتَّى يستطيع الطَّيران أو يرافقاه إلى أنْ يموت، وبعدئذٍ ينطلقان بقوَّة وسُرعة لينضما إلى تشكيل آخَر، ليمكنهما الالتحاق بمجموعتهما الأصليَّة. (البقية صفحة ١١)